المشاريع الكاثوليكية في حلب

للاب لويس شيخو اليسوعي

وعدنا في عددنا السابق باننا نفرد نبذةً موجزة لذكر ما انشأهُ الحلبيُّون الكاثوليك من المشاريع الدينيَّة المبنيَّة بما طُبعوا عليهِ من التقى والغيرة في خلاص النفوس. وها نحن نقسم ذلك ثلثة اقسام نعدّد في القسم الاوَّل مشاريعهم التقويَّة. وفي الثاني منشآتهم لتهذيب الشبَّان وتعليم الاحداث وارشادهم. وفي الثالث نذكر اعمالهم الخيريَّة لمساعدة البؤسين

١ المشاريع التقويَّة

هي متعدّدة. اخصُّها الاخويَّات المريميَّة التي لم تزل منذ انشائها الاوَّل في رومية في القرن السادس عشر تأتي بالاثار الجنيَّة وتوطيد روح الدين والتقى حيثما تُقام لاكرام العذراء الطاهرة التي تمدُّ المشتركين فيها بأسبغ النعم. وقد سبقت حلب غيرَها من مدن الشام في تأسيس هذه الاجتماعات الدينيَّة منذ القرن السابع عشر بهمَّة المرسلين لاسيَّما الآباء اليسوعيين الذين اقاموا نحو عشر اخويَّات مريميَّة للطوائف الكاثوليكيَّة المختلفة منها للرجال ومنها للنساء وبعضها للشبَّان او الاحداث وقفنا على اعمال كثيرين من المنتمين اليها مدوَّنة في سجلَّات قديمة فهي تدلُّ على وفرة دينهم وحسن سيرتهم وممارستهم لكل الفضائل المسيحيَّة

وقد عادت هذه الاخويَّات في حلب منذ خمسين سنة الى نشاطها السابق اذ عرف الحلبيُّون فضلها في إنعاش روح الايمان في القلوب ودفع المنضوين اليها الى كلّ المحامد واعمال البرّ. وهي اليوم تعمّ سائر الطوائف الكاثوليكيَّة في الشهباء يتبادر الى انشائها ارباب الاكليروس والمرسلون معاً فلا تكاد تختار كنيسة من بعضها يتبارى مرشدوها واعضاؤها غيرةً في ترقيتها ونجاحها

فما سُررنا بمشاهدتهِ من تلك الاخويَّات التقويَّة في كنيسة الآباء اليسوعيين اخويَّة سيِّدة الاحزان (الامّ الحزينة) للرجال ولاسيَّما العَمَلة من كلّ الطوائف يبلغ

عدد اعضائها اليوم ٣٥٠ شخصاً ممتازين بتقاهم وغيرتهم وتشبثهم بكل وصايا الدين يجتمعون كلّ احد بعد الظهر ويقضون ساعةً في تلاوة فرض السيّدة وسبحتها واستماع الارشادات والتغني بدائح امّ الله الموقعة على الآلات الموسيقيّة الرخيمة

وللنساء فيهـا اخويّتان الواحدة عمومية على اسم اخويّة الميتة الصالحة والاخرى خاصّة بالفتيات بنات مريم تحت اسم اخويّة الحبل بـلا دنس وكلتاهما نامية العـدد عريقة بالعبادة يجتمع اعضاء الاولى يوم الاربعاء والثانية الخميس ويدير الآباء اخويةً ثانية نسائيّة للميتة الصالحة في حيّ العزيزيّة في كنيسة الكلدان

وفي كنيسة حضرة الآباء المرسلين الفرنسيسيين غير الكاتدرائيّة اخويّة مريميّة للشبّان يديرهـا احد كهنة الروم الكاثوليك الافاضل يحضر اجتماعاتها اكثر من ٦٠ عضوًا ويترنّمون بالتسابيح المريميّة الموقعة على آلات الموسيقى

وقد انشأ اكليروس الروم الكاثوليك ايضاً في كنيستيهم في حيّ الجديدة وحيّ شارع سوس اخويّتين للرجال اصابتا نجاحاً عظيماً ينضمّ الى كلّ منهما العدد العديد من ذوي التقى والصلاح

وكذلك الموارنة قد اشتهرت لهم اخويّة على اسم سيّدة مونتليجون (Mont-ligeon) وهي جمعيّة تقويّة أنشئت سنة ١٨٨٤ في بلدة من ابرشيّة ساي (Séez) في فرنسة فانتشرت في بلاد كثيرة وغايتها اسعاف الانفس المطهريّة وقد اغناهـا الحبر الاعظم بعدّة غفرانات ونعم روحيّة

وكان منشئها في الشهباء سيادة الحبر الجليل ميخائيل الخرس في زمن كهنوته فاصابت نجاحاً عظيماً حتى بلغ عدد المشتركين فيها من الشبّان نحو ٨٠٠ وضاق بهم معبد اجتماعهم في الزقاق الطويل فالتجأ مرشدهم الغيور الى ذوي الاحسان فجمع من الدراهم ما كفاهُ لتشييد كنيسة جميلة تُعدّ من اعظم وابدع كنائس حلب اقامها في حيّ الحميديّة . وقد اخمدت الحرب الاخيرة نوعـاً همّة اعضائها وانّما عادوا اليوم الى ممارسة فرائضهم السابقة واستئناف غيرتهم . وللموارنة في كنيستهم في الحميديّة اخويّة اخرى للنساء تُقام كلّ يوم خميس

ومن الاخويّات التي تأتي حاضراً في حلب بالثمار التقويّة الشائقة اخويّة الوردية المقدّسة المنتسبة الى سيّدة پومپي . وان سألت مـا هي پومپي وما هي سيّدتها ؟

اجناك انها مدينة قديمة رومانية شهيرة راقية الحضارة . كان موقعها جنوبي نابولي على مسافة ٢٤ كيلو متراً من جبل الڤيزوف ذي البركان الناري الذي فار فارهُ سنة ٧٩ للمسيح فسجّى بحُممه ورماده مدينة پومپي وغطّاها بكفن من الملاط لا ينفذ فيه الريح فبقيت المدينة اجيالاً تحت ذاك الكفن الحجري الى ان انتبه اليها في القرن الماضي ارباب الامر ومحبُّو الآثار القديمة فاخذوا يكشفون عنها ستر هما البركاني ليعيدوها الى حالتها القديمة من ازقّة وشوارع وبيوت ونوادي عمومية وارروقة وتماثيل ونقوش فيظن زائر آثارها انهُ يرى مدينةً نائمة ليست مدينةً غابرة ميّتة

ففي بعض جوانب هذه المدينة اقام احد الايطاليين من رجال الخير والتقى يدعى بارتولو لونكو سنة ١٨٨٧ معبداً لسيّدة الورديّة زانهُ بضروب المحاسن الهندسيّة وضمَّ اليهِ مأوى للفتيات اليتيمات وللاولاد الفقراء والمهملين لاسيَّما ابناء المحبوسين والمحكوم عليهم بالاعمال الشاقّة وجعل تلك المأوى تحت نظارة رواهب غيورات وجعل عبادتهنَّ الخاصّة سيّدة الورديّة المنسوبة الى پومپي وهناك صورتها وتمثالها كما ظهرت للقديس دومينيك وأوحت اليهِ بورديّتها . وقد بارك الله هذا العمل واظهر ثمّة قوّتهُ بما اجرى من الآيات الباهرة العديدة حتّى انتشرت عبادة سيّدة ورديّة پومپي في انحاء اوربّة فأحبَّ حضرة الاب يوسف ربّاط الكاهن السرياني الحلبي الغيور ان يشرك مواطنيهِ في الشهاء بهذه النعم فانشأ في كنيسة طائفته الجليلة اخويّة ورديّة سيّدة پومپي فنالت من الحظوة والاستحسان ما جاوز أملهُ وكثر عدد المشتركين بها حتّى بلغ كما قيل لنا نحو ٣٠٠٠ فقسمها الى عدّة فروع للرجال والشبّان والنساء والبنات . وقد خصَّ بها احد مذابح الكنيسة فزانهُ بصورة سيّدة الورديّة العجائبيّة وبتماثيل كبيرة جميلة الصنع تمثّل البتول عند ظهورها للقديس دومينيك لتوحي اليهِ بالورديّة مع تمثال القديس وتمثال القديسة كاترينا السيانيّة . وقد قدَّمنا الذبيحة الالهيّة على ذلك الهيكل وسُررنا بما وجدناهُ من المزدحمين حولهُ كما أطربتنا اصواتهم الخشوعيّة التي تتلو صباح مساء وورديّة العذراء الجليلة . فنثني على همّة منشئ هذه الاخويّة ومساعديهِ والمشتركين بعملهِ المبرور

هذا وانَّ للارمن الكاثوليك اخويّتهم ايضاً وهي على اسم سيّدة الجبل بلا دنس يعرب المشتركون بها عمَّا طُبع عليهِ بنو طائفتهم من التقى والتعبُّد لسلطانة السماء التي

لم تضنّ بنصحها السابقة اليهم . وقد كان الطيب الذكر المرحوم الورتيد بولس بليط قد انشأ في كنيستهم اخويّةً على اسم « قلب مريم » صادفت اقبالاً عظيماً سنين طويلة ثمّ أتت الحرب فأخمدت انفاسها ولعلّ سيادة المطران اوغسطين صانع يهتمّ بعد رجوعه مؤخّرًا من الاستانة بتجديد حياتها بمساعدة بعض كهنته الافاضل

هذا ما وقفنا عليه من الاخويّات المنشأة في حلب في الطوائف الكاثوليكيّة . ولا شكّ انّ في مدارسهم ومدارس الراهبات اخويّات أخرى لطلبة وفتيان تلك المدارس ضربنا صفحاً عن ذكرها

ولا يسعنا الّا الثناء على جمعيّة اخرى تقويّة تمتاز عن الاخويّات وتُنظَم بين الرهبانيّات تُساعد كثيرًا على تقديس النفوس والعيال المسيحيّة تريد بها الرهبانيّة الفرنسيسيّة الثالثة التي افردنا لها مقالةً سابقة في المشرق (ص ٥٣٨) ومنها فرعٌ في حلب تحت ادارة حضرات ابناء القديس فرنسيس يبلغ عدد المنتمين اليها ٦٠ عضوًا فتتمنّى لها كلّ النجاح

ونُضيف الى هذه الاعمال التقويّة عملَين آخرين حريّين بالذكر : الاوّل اجتماع كهنة كلّ الطوائف الكاثوليكيّة تحت رئاسة رُعاتهم الاجلّاء في عصر الخميس الواقع قبل اوّل جمعة من الشهر في احدى الكنائس بالمناوبة فيتلون هناك بعض الصلوات لاكرام القلب الاقدس ويسمعون ارشاداً في اخصّ واجبات الكهنوت ويختمون ذلك ببركة القربان الاقدس . وقد اسعدنا الحظّ على حضور ذاك الاجتماع فوجدنا تعزيةً كبرى في ورع الكهنة وتفاهم العميق وارتباط قلوبهم على اختلاف طوائفهم

وفي مساء ذلك النهار عينه يصير في كنيسة الآباء اليسوعيين اجتماع آخر جزيل الفائدة لنموّ العبادة المسيحيّة تريد به اجتماع اخوة السجود الليلي فيقضون ساعةً جاثين امام القربان الاقدس ومقدّمين . لقلب يسوع الالهيّ تكفيرًا عمّا يصيبهُ من الاهانات لاسيّما في سرّ محبّته . وفي هذه الجمعيّة مشتركون من كلّ الطوائف بينهم الاغنياء والفقراء الشيوخ والشبّان الكهنة والرهبان ينيف عددهم على المائتين تراهم يتبارون جميعاً في اكرام القلب الالهيّ فيأخذ منظرهم بمجامع القلوب

٢ - المشاريع التهذيبية للشبان والاحداث

قد مرَّ لنا ذكر المدارس في حلب والمشروعات الادبيَّة التي توفَّرت فيها التهذيب الشبَّان . ونزيد على ما قلنا هناك انَّ للطوائف الكاثوليكيَّة ما عدا المدارس الثانويَّة مدارس غيرها ابتدائيَّة مجَّانيَّة للطبقة الفقيرة من العيال المسيحيَّة نخصّ منها بالذكر مدرسةً لطائفة اللاتين تحتوي على ١٥٠ تلميذًا . ثمَّ مدرسة أخرى لطائفة الروم الكاثوليك . ومثلها للسريان وللارمن الكاثوليك . وقد اقامت ايضاً جمعيَّة مار منصور مدرسة لهؤلاء الفقراء لا يقلّ طلبتها عن المئة . ونظنّ انَّ للراهبات مدارس مثلها مجَّانيَّة للفتيات الفقيرات

وفي حلب مشروعات غيرها لتهذيب الناشئة اجداها نفعاً وافضلها غايةً النادي الكاثوليكيّ الذي يُعنى بتدبيره كهنةٌ افاضل من طائفة الروم الكاثوليك وهو تحت إشراف سيادة المطران مكاريوس سابا الجزيل الاكرام . يجتمع فيه خمسون عضواً من نخبة الشبَّان

ومما تتَّحد الالسنة والقلوب في تحبيذه والثناء على القائمين باعماله جمعيَّة اخوة التعليم المسيحي التي كان انشأها في حلب المرسل الغيور الاب جليان هنري اليسوعيّ سنة ١٨٨٦ فراجت سوقها رواجاً عظيماً بهمَّة بعض شبَّان الشهباء المتحمسين في دينهم المتقدين غيرةً في نشر ايمانهم المقدَّس . فجرت على هذه الجمعيَّة تقلُّبات شتَّى بعد وفاة منشئها وقد جدَّدت قواها بعد الحرب وعادت الى سابق مآثرها وهي تتألَّف حاضراً من ٣٥ عضواً معظمهم من الأُسر الحلبيَّة الوجيهة ينتمون الى كلّ الطوائف الكاثوليكيَّة . وهم يديرون خمسة تعاليم اي خمس فرق من الصبيان في احياء فقيرة مختلفة فيجمعون الصغار في اوقات معلومة ويلقّنونهم الصلوات ومبادئ التعليم المسيحيّ ويعدُّونهم لمناولة القربان الاولى فتقام لذلك حفلات شائقة في المواسم الكبيرة ويوزّعون عليهم الكسوة في ابتداء فصل الصيف ثمَّ ينتدبون الرجال والشبَّان في ايَّام الصوم ليلقي عليهم احد الكهنة بعض المواعظ لرياضة روحيَّة

ثمَّ وجد ذوو الغيرة والتحسُّس انَّ بعض العمّلة غير الفتية الصغار يحتاجون الى معرفة دينهم وواجباتهم المسيحيَّة وهم يمتنعون من حضور مجتمعات اولئك

الاحداث فلذلك عمدوا رجاء في استجلابهم على فتح مدارس ليليّة يدعون اليها اولئك العملة فيعلمونهم مبادئ القراءة والكتابة . فلبّى دعوتهم بعض زملائهم من اخوة التعليم واعضاء جمعيّة مار منصور دي پول فتكلّلت مساعيهم بالنجاح ثمّ اضافوا الى التعليم المدرسيّ التعليم الديني فوجدوا في قلوب اولئك العملة تربةً صالحة جانتهم عن اتعابهم . وقد خصّ كثيرون منهم يوم الجمعة ببعض الاعمال التقويّة على شبه الاخويّات فيجتمعون في كنيسة السريان فيتلون المسبحة ويسمعون الارشاد الذي يلقيه عليهم احد الكهنة وينالون بركة سيّدة الورديّة

وللبنات الفقيرات ايضاً اجتماعات اسبوعيّة يوم الاحد ليتعلّمن مبادئ الدين والصلاة ويُعدّدن نفوسهنّ للمناولة الاولى . وتقوم راهبات القلبين الاقدسين بهذا العمل الاخير بموجب نذرهنّ في مدارسهنّ في الفوري والعلاف والحميديّة حيث يُنيف عدد البنات المجتمعات لهذه الغاية على الثمانة فيتربّين على اصول ديانتهنّ ويألفن الفضيلة منذ نعومة اظفارهنّ

٣ الاعمال الخيريّة

كما طُبع اهل حلب على التقى والعبادة كذلك جُبلوا على اسعاف البؤسين والرحمة نحو الفقراء . وقد ظهرت مبرّاتهم خصوصاً في أيام الحرب الكونيّة فانهم لم يمدّوا فقط يد المساعدة نحو البائسين من اهل وطنهم بل تبرّعوا ايضاً بسخاء بالهم نحو المنكوبين الذين احتلّوا ربوعهم او نقتهم الى الشهباء الحكومة التركيّة او اجتازوا بها قبل نفيهم الى الداخليّة لاسيّما الارمن فانّ كثيرين من اهل الخير استنفدوا الوسع لاعانة هؤلاء المظلومين . ومنهم من كانوا يزورونهم في سجونهم وفي مضاربهم المنصوبة خارجاً عن البلد فلطّفوا اوجاعهم وخلّصوا البعض منهم من براثن اعدائهم

ولمّا حطّت الحرب عن اوزارها شمّر اصحاب المروّة والرحمة عن ساعد الجدّ لتضميد جروحاتها وشكّلوا بمساعدة الحكومة المنتدبة اللجن لاسعاف المحتاجين ومعالجة المرضى . ولكل طائفة اليوم لجنتها المهتمّة بمساعدة ذويها . وقد مرّ لنا ذكر جمعيّة مار منصور دي پول واخوة رئيسها واعضائها في مباشرة اعمال الرحمة

ومما يُذكر بالشكر ميتمٌ لطائفة الروم الملكيين يُعتنون فيه باعاشة وتربية نحو ٥٠ ولداً

وكذلك للسريان مأوى لبني كان يلتجئ اليه اهل البأساء المنقطعون فيتّقون فيه من فواجع الطرقات والشوارع. وقد نوّهنا بذكر المأوى الذي فتحتهُ الحكومة المتندبة بعد دخولها الشهباء.

ولا يسعنا السكوت عن المستشفيات الكاثوليكيّة في حلب اكبرها واجمعها لاسباب راحة المرضى وعلاجهم. مستشفى راهبات مار يوسف الذي ادّى من الخدم الجليلة في زمن الحرب وبعدهُ ما أنطق ألسنة الجميع بفضل مديراته وتفانيهنّ كما عرفوا جميعهنّ بتخريج الفتيات في مدرستيهنّ الداخليتين

ومثلهُ مستشفى كانت تديرهُ في الحرب راهبات سان شرل الالمانيّات توارد اليه عدد عديد من الجرحى والمرضى فوجدوا في القائمات بادارته ملائكة من الرحمة والشفقة

ومما احدثهُ الايطاليّون في حلب بعد اعلان السلم مستشفى لمعالجة ابناء جلدتهم جعلوا تدبيرهُ في ايدي راهبات الطوبوي كوتولنكو الذي اثبت الكرسيّ الرسولي قداستهُ

هذا بعض ما احاط به علمنا من مشروعات الكاثوليك الدينيّة والتهذيبيّة. ولله فاتنا شيء منها مما لا يجهلهُ الله ومكتوب ثوابهُ في سفر الحياة

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

٣ الشعر النصراني

رأيت في ما سبق انّ النهضة الشعريّة كانت خصوصاً في القرن السادس للمسيح